ملحمة عمر

عَلى أسوارِ دِمَشق

بِرهان

علي احمد باكثير

دار البيان
الكويت

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الناشر
دار البيان
ص.ب: ٢٠١٧ - برقيا: تريف
الكويت

الطبعة الأولى
١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

كنتم خير أمة أخرجت للناس. تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله .

قرآن كريم

الحمد لله الذي أمدني بروح من عنده حتى أنجزت كتابة هذه الملحمة ، وما كنت لأنجزها لولا عونه عزّ وجل وتيسيره .

وأتوجه بالشكر إلى كل من أعانني على إنجازهـــا ولو بكلمة طيبة .

وأخص بالذكر أخي وصديقي الأستاذ حامـد سعيد مدير إدارة التفرغ والبحوث الفنية بوزارة الثقافة والإرشاد القومي لما تعهدني به من تشجيع مخلص صادق وشاطرني حمل العبء وأنا أكتبها فصلاً فصلاً خلال عامين تفرغت فيهما لهذا العمل كانا من أسعد أعوام حياتي .

كما أشكر الأخوين الكريمين الأستاذ فؤاد السيد والأستاذ عبد الفتاح سالم بدار الكتب على مـــا يسّرا لي من الاطّلاع على المراجع .

والله أسأل أن يتقبل مني هذا العمل ويجعله خالصاً لوجهه الكريم .

١٥ ذي القعدة سنة ١٣٨٤
١٨ مارس سنة ١٩٦٥

المؤلف

المقدّمة

في مشهدين

المشهد الأول

حجرة في بيت أبي بكر بها سرير واطىء لا يرتفع عن الأرض إلا قليلاً . ولها كوة تطل على المسجد النبوي الشريف .

يرفع الستار عن أبي بكر راقـــداً على فراشه ، وعنده زوجته أسماء بنت عُمَيْس .

(يدخل الصبي محمـــد بن أبي بكر وهو يصيح)

الصبي : يا أُمَّه ، أين خُذْروفي يا أُمَّه ؟

أسماء : (بصوتٍ خافضٍ) صَهْ .. اسكت يا غلامُ ، لا تُزْعِجْ أباك من نَوْمه .

الصبي : أين وضَعْتِ خُذْروفي ؟

أسماء : خبأْتُه .

الصبي : ألأَنَّ أبي مريضٌ تمنَعِينني من اللَّعِب ؟

أسماء : نَعَم .

الصبي : لن ألعبَ في البيت .. سالعبُ في الطريق.

أسماء : صَهْ .. لا في البيتِ ولا في الطريق .

أبو بكر : (يتحرّك في سَريره ويفتح عينيه) هل حَضَر عمر ؟

أسماء : لا يا خليفةَ رسول الله ، لم يحضُرْ .

أبو بكر : محمدُ ، تعالَ أدْنُ مِنّي يا بُني . (يدنو الصبيُّ منه فيقبِّله) وَيْ ! مالي أراك تبكي ؟

الصبي : أمي يا أبتِ أخذتْ خُذْروفي .

أبو بكر : أتريدُ أن تلعبَ الآن؟

الصبي : نعم يا أبتِ .. في الطريق .

أبو بكر : أعْطِيه يا أسماءُ خذروفه .

أسماء : سمعاً يا خليفةَ رسولِ اللهِ . (تخرجُ مع الصبي ثم تعودُ) .

أسماء : كيف تجدُك الساعة ؟

أبو بكر : الحمدُ لله . إنما مَثَلُ المرءِ في حَياته يا أسماءُ

كَمَثَلِ خُذْروفِ الصبي، بينما هو يدُور حتى لا تضْبِطَه العينُ من شدة دورانه ، إذ هو اللَّقى لا حَرَاك به ! أتسْمعِين هذا الطائرَ يا أسماء ؟

أسماء : هذا الدُّبْسي يا خليفةَ رسول الله فوق غُصُونِ الشجر .

أبو بكر : طُوبى لك يا طيرُ : تأكل من الثمر وتَسْتظِلُّ بالشجر ، وتَصِيرُ إلى غيْرِ حسَاب . يا ليْتَ أبا بكرٍ مثْلُك .

صوت : يا آل أبي بكر ! يا آل أبي بكر !

أسماء : هذا صوْتُ عمر بن الخطاب .

أبو بكر : أجْلِسِيني : أسماء . (تُعِينُه على الجلوس وتَضَعُ الوِسَادةَ خلفَ ظهْره) قُولي له يَدْخُلْ ، ولا يَدْخُلَنَّ أحد علينا حتى ينْصَرفَ عمر .

(تخرج أسماء ثم يدخل عمر) .

عمر : السلامُ عليكَ : يا خليفة رسول الله .

أبو بكر : وعليك السلام ورحمةُ الله. أين كنتَ يا ابن الخطاب فقدْ افْتَقَدْتُك مُنذُ أمس؟

عمر : إن الله لا يسْتَحي من الحقِّ. جاءتني تِجارةٌ من الْيَمَن فشَغَلَتْني عنك.

أبو بكر : فهل انتهيتَ منها اليوم؟

عمر : نعم بعتُها وربحتُ. كيف تجدُكَ اليوم يا أبا بكر؟

أبو بكر : (يُظْهِر الجَلَدَ والشدّةَ كأنما قد عُوفِيَ من مرضه) الحمدلله، أجدُني بارئاً يا ابن الخطاب.

عمر : الحمد لله.. قد ظننتُ أنها وعْكةٌ خفيفةٌ وتزول.

أبو بكر : فإياك أن تغيبَ عني لذلك يا أبا حَفْص.

عمر : لن أغيبَ عنك ما كنتَ بحاجة إليّ.

أبو بكر : أنا بحاجةٍ إليك في كل حين. لقد فكّرتُ في أمري هذا الصباحَ فوجدْتُني قد قمتُ بأعمال لا أدْري ما مكانُها عند الله، فهل لك أن تُذَاكرَني فيها يا عمرُ؟

عمر : حُبّاً وكَرامةً يا أبا بكر.

أبو بكر : هذا الفَيْءُ الذي كنتُ أقسّمه بيْنَ المسلمين على السَّواء لا أُمَيِّز فيه أحداً منهم على أحد فما رأْيُكَ اليومَ في ذلك؟

عمر : رأْيي اليومَ في ذلك كرأْيي أمس. لا يسْتَوي السابقون إلى الإسْلام والمتخلِّفون. والله لا أجعَلُ من قاتَلَ رسولَ الله كمَن قاتَلَ معه.

أبو بكر : يا ابنَ الخطاب، إن السابِقين إنما أسْلَمُوا لله وعليه أجْرُهم يُوَفّيهم ذلك يومَ القيامة، وإنما هذه الدنْيا بلاغٌ.

عمر : يا أبا بكر إنك سألْتني رأْيي، فهذا رأْيي.

أبو بكر : صدقْتَ، فماذا تَرَى في خالدِ بنِ الوليد؟

عمر : ما خطْبُك اليوم؟ إنك لَتعْرفُ رأْيي فيه.

أبو بكر : إني قد أنْزلتُك منزلةَ نفسي يا أبا حَفْص، فإذا راجعْتَني فكأنما راجعْتُ نفسي. وحقٌّ على من يَلي أمورَ الناسِ أن يُراجِعَ نفسَه دائماً ويحاسِبَها.

عمر : (كأنما يلحظ نغمةَ الأسى في مَقالِ أبي بكر) أفٍّ لي إن دعوتني إلى أمر فلم ألبِّكَ من أول وَهْلَة. رأيي في خالد أن في سَيْفِهِ رَهَقاً من رَهَقِ الجاهلية، وفي طبْعه ما في آلِ المغيرة من جَفاء وكِبرياء.

أبو بكر : أكنْتَ تعزلهُ لو كنت مكاني؟

عمر : نعم وأُعيدُ إمْرَةَ جيشِ الشام إلى أبي عُبَيْدة.

أبو بكر : ويْحَك يا ابنَ الخطاب، إن أبا عُبَيْدةَ لأمينُ هذه الأمة ولكنَّ خالداً أعلمُ بالحرب منه. ألم ترَ كيف أذهبَ اللهُ به وساوسَ الشيطان من الرومِ في الشام؟ لقد ظَلَّ أبو عبيدة وسائرُ أمراءِ الأجْنادِ عاجزين أمام جَحافِل الروم، حتى قَدمَ إليهم خالدُ فاستخرجَ أحْسنَ ما فيهم، ولم يلبثْ أن فتحَ بهم بُصْرَى، ثم لَقِيَ بهم الرومَ في أجْنادِين وكانوا مائةَ ألفٍ فهزَمهم، وهو الآن على أبوابِ دمشق.

عمر : يا خليفةَ رسول الله.. إن ابنَ الوليد لسيفٌ من سيوف الله كما نَعَتَهُ بذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، ولكنه لا يَصلُح أن يكونَ أميراً على المسلمين، وفيهم أبو عُبَيدة وأضرابُه.

أبو بكر : ماذا على أبي عبيدة أن يُؤَمَّر عليه خالدٌ؟

عمر : وماذا على خالد أن يُقاتِل تحت إمرةِ أبي عبيدة؟

أبو بكر : وإذا اختلفا؟

عمر : لن يختلفا في شأنٍ من شؤونِ القتالِ أبداً، فإن أباعبيدة لَأَلْيَنُ عَريكةً، وأكثرُ تواضعاً لله، من أن يُنازِعَ خالداً فضلَه.

أبو بكر : (يبتسم ابتسامةً غامضة) أما إنك لمُقيمٌ على رأيك يا ابن الخطاب.

عمر : إن خالداً لم يتغيّر فأُغيّرَ رأيي فيه.. وما أحسَبُه يتغيّرُ أبداً.

أبو بكر : ولِمَ يا ابن الخطاب؟

عمر : إن بني مَخْزوم لا يستطيعُون أبداً أن يَنْسَوْا أنهم كانوا رَيْحانةَ قريشٍ في الجاهلية ، فلما جاء الإسلامُ ذَهبَ بالشرف غيرُهم .

أبو بكر : أما إنك لشديد على أخوالك يا عمر .

عمر : والله يا أبا بكر إني لأحبُّ خالداً ، وأخشَى الله في مُحاباتي له أكثرَ مما أخشاه في تَحامُلي عليه .

أبو بكر : طِبْ نفساً يا أبا حفص ، فبِحَسْبي هذا منك .

عمر : ماذا تعْني ؟

أبو بكر : لقد قصدْتُ امتحانَك يا ابن الخطاب ، فوجَدْتُك كما عَهِدْتُك صريحاً لا تُداجِي ولا تداهِنُ ولا تنافق .

عمر : وما أردتَ بذلك يا أبا بكر ؟

أبو بكر : أردتُ أن أستَخْلفَك يا عمر .

عمر : لا تفعلْ يا أبا بكر .. لا حاجةَ لي فيها .

أبو بكر : لكن لها بك حاجةٌ يا عمر . إني أخشى أن أموتَ وأتركَ الناسَ بلا خليفة ، فيكون يوم كيوم السَّقِيفَة .

عمر : فاستَخْلِف أحداً غيْري يا أبا بكر .

أبو بكر : مَنْ ذا أستخلفُ ؟

عمر : استخلفْ أبا عبيدة ، فهو أمينُ هذه الأمةِ .

أبو بكر : قد فكرْتُ فيه يا ابن الخطاب ، ولكني لم أجِدْ فيه القوةَ التي عندَك. إنه أمينٌ ولكني أريد القويَّ الأمين . إن المسلمين اليوم يُواجِهون الأسَدَيْنِ فارسَ والروم ، وإنهم لَبيْن طريقين لا ثالثَ لهما ، فإمّا أن يُضِيئُوا العالَمَ بنور الإسلام ، أو يَقْضي العالَمُ على نور الإسلام .

عمر : الله مُتمِّمُ نوره ولو كره الكافرون .

أبو بكر : إنما يُتِمّ الله نُوره يا عمر ، بعباده الصالحين المجاهدين المخلصين .

عمر : يا خليفةَ رسول الله، كيف تستَخْلِفُني وأنت

عمر : إن بني مَخْزوم لا يستطيعُون أبداً أن يَنْسَوْا أنهم كانوا رَيْحانةَ قريشٍ في الجاهلية ، فلما جاء الإسلامُ ذَهبَ بالشرف غيرُهم .

أبو بكر : أما إنك لشديد على أخوالك يا عمر .

عمر : والله يا أبا بكر إني لأحبُّ خالداً ، وأخشى الله في مُحاباتي له أكثرَ مما أخشاه في تَحامُلي عليه .

أبو بكر : طِبْ نفساً يا أبا حفص ، فبِحَسْبي هذا منك .

عمر : ماذا تعْني ؟

أبو بكر : لقد قصدْتُ امتحانَك يا ابن الخطاب ، فوَجدْتُك كما عَهِدْتُك صريحاً لا تُداجي ولا تداهِنُ ولا تنافق .

عمر : وما أردتَ بذلك يا أبا بكر ؟

أبو بكر : أردتُ أن أستَخْلفَك يا عمر .

عمر : لا تفعلْ يا أبا بكر .. لا حاجةَ لي فيها .

أبو بكر : لكن لها بك حاجةٌ يا عمر . إني أخشى أن أموتَ وأتركَ الناسَ بلا خليفة ، فيكون يوم كيوم السَّقِيفَة .

عمر : فاستَخْلِف أحداً غيْري يا أبا بكر .

أبو بكر : مَنْ ذا أستخلفُ ؟

عمر : استخلفْ أبا عبيدة ، فهو أمينُ هذه الأمةِ .

أبو بكر : قد فكرْتُ فيه يا ابن الخطاب ، ولكني لم أجِدْ فيه القوةَ التي عندَك . إنه أمينٌ ولكني أريد القويَّ الأمين . إن المسلمين اليوم يُواجِهون الأسَدَيْنِ فارسَ والروم ، وإنهم لَبيْن طريقين لا ثالثَ لهما ، فإمّا أن يُضيئُوا العالَمَ بنور الإسلام ، أو يَقْضي العالَمُ على نور الإسلام .

عمر : الله مُتمِّمُ نوره ولو كره الكافرون .

أبو بكر : إنما يُتِمّ الله نُوره يا عمر ، بعباده الصالحين المجاهدين المخلصين .

عمر : يا خليفةَ رسول الله ، كيف تستَخْلِفُني وأنت

تعلم أنني أخالفك في قسمة الفيء، وفي خالد ابن الوليد، وفي غزو أهل الردة بعد أن تابوا إلى إسلامهم، وفي أمور غيرها كثيرة؟

أبو بكر : ويحك يا عمر، إن هذا ليدفعني إلى استخلافك أكثر مما يثنيني عنه. إني أريد رجلاً إذا قال نعم قالها بملء فيه، وإذا قال لا قالها بملء فيه: وأنت هو يا عمر.

عمر : أوَ قد نسيتَ موقفي يومَ الردّة يا أبا بكر، وتخذيلي إياك حتى قلتَ فيَّ يومئذ: أجبارٌ في الجاهلية، خوّارٌ في الإسلام؟

أبو بكر : هبْ لي ذلك يا أبا حفص وسامحني، فوالله ما قصدتُ أن أسيء إليك أو أنالَ منك. إن هي إلا كلمة نَدَّت من لساني ساعة العُسْرة.

عمر : يا خليفةَ رسول الله، إني لستُ أذكرها الساعة في معرض العتب عليك، معاذ الله. فوالله إني لأذكرها وأنا بها جذِلٌ قريرُ

العين، أنْ كانتْ هي التي بصّرتني بالحق الذي كان محجوباً عني يومئذ. ولكني ذكّرتُك بها الساعة، لعلّك تجد فيها ما يُقنعُك بأني لستُ أهلاً للأمر الذي تريد أن تُقلّدني إياه. إني والله كلما تذكرتُ مُعارَضتي لك فيما شرَح الله له صدرَكَ من قتال أهل الردّة، وأخذِهم بالشدة، وعدمِ التفرقةِ بين من تركَ الصلاةَ ومن منعَ الزكاةَ، اقشعرّ بدني من سُوء ما فعلتُ. فوالله يا أبا بكر لولا إصرارُك على موقفك، لأكلتْنا العرب ولذهب الإسلام.

أبو بكر : هوِّن عليك يا أبا حفص. إن كنت أخطأتَ في رأيك هذا فإنه لا يُعَدُّ شيئاً مذكوراً في جنبِ موافقاتِك العديدة أنشدُكَ الله يا عمر ألم تقلْ لرسول الله ﷺ على أشياء فلم يلْبثْ أن نزلَ بها الوحيُ موافقاً لما ارتأيتَ؟ ألم تقترحْ عليه ﷺ أن يتّخذَ مقامَ ابراهيم

مُصَلّى ، فأنزل الله تعالى: واتخِذُوا مِنْ مَقَامِ إبراهيمَ مُصَلًّى !

عمر : اللهم بلى ولله الحمدُ .

أبو بكر : ألم تقُلْ يا عمر : اللهم بَيِّن لنا في الخمر فإنها تُذهبُ المالَ والعقلَ ، فما لَبِثَ أن نزلَتْ آياتُ تحريمِ الخمر ؟

عمر : اللهم بلى ولله الحمد .

أبو بكر : ألم تعْتَرِضْ على النبي ﷺ في صلاتِه على المنافِق عبدِ الله بن أُبَيّ ، فما كانَ إلا يَسيراً حتى نزلت: « ولا تُصَلِّ على أحدٍ منهم ماتَ أبداً ولا تَقُمْ على قبرِهِ » ؟

عمر : اللّهُم بلى ولله الحمدُ .

أبو بكر : أما سمعتَ رسولَ الله ﷺ يقول : قد كان فيمَنْ قبْلَكم مُلْهَمُون أو مُحدَّثون، فإن يكنْ في أمّتي منهم أحدٌ فعمرُ ؟

عمر : اللهم بَلَى ولله الحمدُ .

أبو بكر : والله يا عمر لقد كنتَ أحقَّ بالخلافة مني يوم السّقِيفَة، ولقد مدَدْتُ يدِي إليك لأبايعَك ، ولكنك غلبْتني بقُوّتِك وبايعْتني ، فلم يَسَعْ المسلمين إلا أن يحذُوا حَذْوَك فبايَعُوني بعدك . والله لودِدْتُ يومئذ أن استَعْفِيَ من حَمْلها، لولا خشْيَتي أن يشْتَجِرَ الخلافُ بين المسلمين فتكونَ فِتْنة .

عمر : جزَاك الله خَيْراً يا أبا بكر . إن كنْتَ يومَئِذٍ لأجْدَرَ بها منّي ومِنْ غَيْري ، فأنت أفْضلُ .

أبو بكر : الفضلُ يا عمرُ عند الله ، ولكنك كنتَ أقْوَى مني وأقدَرَ .

عمر : أتذكر يا أبا بكر ماذا قلْتُ لك يومئذ؟ قلتُ لك : إن قُوّتي لكَ مع فَضْلك .

أبو بكر : أَجلْ قلت لي ذلك .

عمر : فستظل قوتي لمن يَلي الأمرَ بعدك ما بقيتُ .

أبو بكر : (يثور مُحْتداً) يا ابن الخطاب لا تَدَعْني

أقولُ لك اليوم كما قلتُ من قبل : أجبّارٌ في الجاهلية خوّار في الإسلام . يا ابن الخطاب والله إن جُبْنَك عن الاضطِلاع بهذا الأمر لأسْوأُ من تَرَدّدِك في قِتالِ مانِعي الزكاة.

عمر : رُوَيدك يا أبا بكر ، إني أخشَى على نفسي وعلى ديني وآخِرَتي ..

أبو بكر : (ماضياً في كلامه وَحِدَّته) إن هذا الأمرَ لِيَهْلِكُ فيه اثنان يا عُمر : رجلٌ يطمع في الخلافة وهو يعلم أن غيرَه أحقُّ بها وأقدرُ عليها منه: ورجل يَأْباها إذْ عُرِضَتْ عليه وهو يعلم أنه أصلحُ الناسِ لها وأقدرُهم عليها، تهرُّباً من حَمْل التبِعة،وضناً بكِفايته أن يبذُلَها في خدمة الناسِ .

عمر : يا أبا بكر ،بحقّ الذي بيني وبينك من مَوَدّة وإخاءٍ في الله ، إلا ما جَنَّبْتني الحساب العسيرَ يوم القيامة.

أبو بكر : ويْحَك يا عمر ،إن الإمامَ العادلَ لَمِنَ السبعةِ

الذين يُظِلّهم اللهُ يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه .

عمر : (يبكي) ومَنْ لي يا أبا بكرٍ بذلك ؟ مَنْ لي بذلك ؟ من لي بذلك ؟

أبو بكر : اللهُ لكَ بِذلكَ يا عمرُ ؟ الله لك بذلك ! الله لك بذلك !

عمر : يا أبا بكر ، إنك غداً لن تُغْنِيَ عَنّي من اللهِ شيئاً .

أبو بكر ، يا عمرُ يا ابنَ أمِّ عمر ، ما هكَذا يُتَّقَى اللهُ حَقَّ تُقاتِه . أَلَمْ تَرَ يا عمر أنما نزلتْ آيةُ الرَخاءِ معَ آيةِ الشدّة ، وآيةُ الشدةِ مع آيةِ الرخاء ، ليَكونَ المؤمنُ راغباً راهِباً ؛ لا يرْغبُ رَغْبةً يتمَنّى فيها على اللهِ ما ليْس له ، ولا يرْهَبُ رَهْبةً يُلْقِي فيها بِيَدَيه ؟ أَما إنّه لو تَرَكَ كلُّ ذِي واجبٍ واجبَه من خَشْيةِ اللهِ ، لانقلبَتْ خشْيةُ اللهِ إلى سُوءِ ظَنٍّ به. وإذَن لفسَدَ الأمرُ وضاعَتْ حقوقُ

المُسْتَضْعَفينَ ، وصارَ الناسُ فوضى يضربُ بعضُهم رقابَ بعض .

عمر : أَفَلَيْس في المُسلمين مَنْ يَقومُ بها غيري ؟

أبو بكر : هذا مَقْطَعُ الحـقِّ يا عمر ، إني مُحْتكِمٌ إليك فهل تَرْضى أن تحتكِمَ إلى نفسِك ؟

عمر : اللهم نَعَم .

أبو بكر : أَنْشُدُكَ اللهَ الذي يعلم ما في نَفْسِك يا عمر، هل تَعْلَمُ في المسلمين مَنْ هُو أصلحُ لها منك؟

عمر : مَا أُشُكُّ أن في المسلمين مَنْ هُو أفضلُ مِنّي يا أبا بكر .

أبو بكر : أَجِبْ عَلى سُؤَالي يا عمر : هَـلْ تَعْلَمُ في المسلمين بَعْـدي مَنْ هُوَ أقوى منك على الاضْطِلاَع بولاية أمْرِهم اليوم؟

عمر : (يُغالبُ دَمْعةً تترَقرقُ في عَيْنيه) اللهُمَّ لا.

أبو بكر : الحمدُ لِلّه ، إذَن فقدْ وَجبَتْ عليك يا ابنَ

الخطاب . الحمد لله ، الآن اطْمَأَنَّت نفْسِي . مِن رَقَبَتي يا عمر إلى رَقَبَتِك .

عمر : ألاَ تَسْتشير المسلمين في ذلك أولاً يا أبا بكر؟

أبو بكر : سَأَفْعَلُ يا أبا حَفْص . لقد كُفِيتُ العقَبـةَ الكُبْرى ، فكلُّ شيْء بعدها هَيّن سَهْلٌ بإذن الله . (يَتأوه من شِدَّة الألم) .

عمر : بأبي أنتَ وأمّي ، هـل تَشْكُو وَجعاً يا أَبَا بَكر ؟

أبو بكر : (بصوت خافضٍ) وَارأْساه !

عمر : هل تأمرُني بشيْء يا خليفةَ رسول الله ؟

أبو بكر : إنني كنتُ منعْتُهم من الدُخول عنـدي حتى تنْصرفَ أنت ، فقُل لهم يدْخلوا .

عمر : (مُنادياً) يا أَسْمَاءُ بنت عُمَيْس ! يا أم فَرْوة ! يا أهلَ البيت !

أسماء : لبّيك يا ابن الخطاب .

عمر : ادْخُلوا عنـدَ خليفـة رسولِ الله فإنني مُنْصرِفٌ . (يخرج) (تدخلُ أسماء وأم فروة).

أبو بكر : أضجِعِيني يا أسماء .

أسماء : (تُضْجِعُه على الفراش) ما كان يَنْبغي لابنِ الخطّاب أن يُطيلَ عندك ويُثْقِلَ عليك، وهو يَرَى ما أنت فيه .

أم فروة : أَجلْ يا أخي ، ويحْبِسَنا عنك طُولَ هذه المدة .

أبو بكر : وَيْحكما ، ما كانَ عمرُ يَعْلم شيئاً مِمّا أكابِدُ. لقد تَجلّدْتُ له حتى ظنّ أنني بخير ، وهذا التجَلُّدُ هو الذي هَاضَني .

أسماء : وما حَمَلك على ذلك؟

أبو بكر : أردْتُ أن أُخرِجَها من رَقبتي إلى رَقبته ، فلوْ لم أتجلّدْ له لما بَلَغْتُ مُرادِي .

أسماء : أما كان يَسَعُهُ أن يُجيبَك إلى ما أردْتَ منه وأنت مُسْتَلْقٍ على فِراشك ؟

أبو بكر : إنني أردْت أن يصارَحني بكل ما في نفسه، فلو رآني مَنْهوكاً لا أقوى على الجلوس لأشفَقَ عليّ من ذلك وتحرّج .

أسماء : (تَجُسّ جبْهته) يا الله ما أَحرّ جبْهتَك! إن الحُمَّى لَتتّقِدُ في جسدك .

أبو بكر : هَريقُوا على رأسي مِنَ القِرَب التي عندكم ، فقد كان رسولُ الله ﷺ يفعلُ ذلك عند وَقْدَةِ الحمى . (تخرج أسماء وأم فروة ثم تعود إحداهما بقِرْبة والأخرى بإناءٍ من الخزَف ، وتُدْني أسماءُ رأسَ أبي بكر من حافّة السرير ثم تَصُبُ الماءَ عليه ، وأم فروة تأتي لها بالقِرَب قِرْبةً بعد قِربة ، وتحملُ الإناءَ لتُفرغَ ما فيه ثم تعُود به فارغاً) .

أبو بكر : أَتِمُّوها سبعَ قِرَب ، كما فعلَ حَبيبي رسولُ الله ﷺ .

أسماء : (تصُبّ الماء عليه) هذه القِرْبةُ السابعة يا أبا بكر .

أبو بكر : فحسْبي هذا . جزَاكُما اللهُ خيراً .
(ترفع أم فروة الإناءَ والقِرَب ، بينما تُنَشّفُ أسماءُ البلَلَ من رأسهِ بثَوْب) .

أسماء : كيف تجدُك الآن ؟

أبو بكر : الحمدُ لله ، لقد خَفَّ عنِّي ما كنْتُ أجد من صُداع . الحمدُ لله .. الحمد لله .

(يغْلبه النعاسُ فتَتَناجى المرأتان بالإشارة فَرِحَتين لذلك ، ثم تسحَبان الثوبَ عليه).

(ستـــار)

المشهد الثاني

حجرة أبي بكر . في اليوم التالي لليوم الأول .

يرى أبو بكر مضطجعاً على فراشـــه ، وعنده عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف وسعيد بن زيـــد وأسيد بن حضير وطلحة بن عبيد الله .

ابن عوف : هل بعثْتَ إلينا يا خليفةَ رسول الله ؟

أبو بكر : نعم ، كما بعثتُ إلى غيرِكم من المهـــاجرين والأنصارِ لأسترشِدَ بآرائِكم . إني كما ترون قد حُمَّ أجلي ، وإني أريد أن أستَخْلفَ عليكم رجلاً قوياً أميناً ، وقد أُلقِيَ في رُوْعي أن عمرَ بنَ الخطاب هو ذلك الرجل ، فماذا

تَرَوْن ؟ ماذا ترى يا عبدالرحمن في عمر ؟

ابن عوف : ما تسألُني عن أمرٍ إلا وأنت أعلمُ به مني .

أبو بكر : وإن .

ابن عوف : هو والله أفضلُ من رأيكَ فيه .

أبو بكر : وأنت يا عثمانُ ، أخبِرْني عن عمر بن الخطاب .

عثمان : أنت أخبرُنا به يا أبا بكر .

أبو بكر : على ذلك يا أبا عبدالله . إني أُريدُ أن أسمعَ رأيَك .

عثمان : اللهم عِلْمي به أن سَريرَته خيرٌ من علانيته، وأنه ليس فينا مثلُه .

أبو بكر : وأنت يا أُسَيْدُ بنُ حُضَير يا سيدَ الأنصار ، ماذا تقول في عمر ؟

أسيد : اللهم أعلَمُه الخِيَرَةَ بعدَك، يرضى للرِضى، ويسْخَط للسّخَط ، والذي يُسِرُّ خيرٌ من الذي يُعلِن ، ولن يَليَ هذا الأمرَ أحدٌ

أقوى عليه منه .

أبو بكر : جزاك الله خيراً يا أخا الأنصار ، وأنت يا علي بن أبي طالب ، يا ابن عَمِّ رسول الله ، ما تقولُ في عمر ؟

علي : يا خليفةَ رسولِ اللهِ ، ماذا أقولُ في رجلٍ اعتزَّ الإسلامُ بإسلامِه ما لم يعتزَّ بإسلام أحدٍ سواه ، وقد سمعْتُ رسول الله ﷺ يقول فيه : إن الله قد جعلَ الحقَّ على لسانِ عمر وقلبِه .

أبو بكر : بُورِكْتَ يا ابن عم رسول الله ، فما بَالُ أقوامٍ يقولون لي : أما تخافُ الله في تولية عمر على المسلمين؟

طلحة : إن أبا بكر يَعْنِيني أنا ومَن وَرَائي . والله يا أبا بكر ما صَدَقْنا اللهَ إن اسْتَشَرْتنا فأشرْنا عليك بغير ما نعْتقد. إنا لا نعلم عن عمر إلا خيراً ، ولعله أن يكون خيراً من كل ثَنَاء

قِيلَ فيه اليوم ، ولكنّ فيه غِلظةً نخشَى منها على المسلمين .

أبو بكر : بل عَلِمْتم أنه خيرُكم في نفسي ، فكلُّكم وَرِمَ أَنْفُه من ذلك ، يريد أن يكون الأمرُ له دونه .

طلحة : يا خليفة رسول الله ، ما ينبغي لك أن تستَشِيرَنا ثم تتّهِمَنا . ماذا أنت قائلٌ لربك إذا سألك عن استِخلافِك عمرَ علينا ، وقد رأيتَ ما يلقى الناسُ منه وأنت معه ، فكيفَ به إذا خلاَ بهم بعْد لقائك ربك ؟

أبو بكر : (غاضباً) أَجلسوني ! أجلسوني ! (يُجلسه عثمان وعبدالرحمن) أبالله تُخوّفونني ؟ خابَ من تَزوّدَ من أمركم بِظُلم . أقول اللهم استخلفْتُ على أهلِك خيرَ أهلِك (يلتفت إلى طلحة) أبلِغْ عني مَنْ وراءك ما قلت لك .

طلحة : (يقوم غاضباً) والله لولا ما أنت فيه

لرددْتُ عليك . (يخرج) .

أبو بكر : (يَرْتعِدُ من الغضب) يأْبَى الله والمسلمون غيرَ عمر . ويلهم ! متى عاملتُ الناسَ على قرابتهم مني أو بُعدهم ؟ والله لو كان يَليها أحدٌ لقرابته من أحد ، لقد كانَ قَرابةُ رسولِ الله ﷺ أحقَّ أن يَلُوا هذا الأمر مني ومن غيري . ويلهم ! إنها أمانةٌ وليست طُعْمَة . إنها حقّ على من وَلِيَها وليسَتْ حقّاً له . أما إني لشديدُ الوَجع ، ولَمَا لَقيتُ منكم يا معشرَ المهاجرين أشد عليّ من وجعي .

ابن عوف : خَفِّضْ عليك يا خليفة رسول الله ، إنّما الناسُ في أمرِك بين رُجلين : إما رجل رأى ما رأيْتَ فهو معك ، وإما رجل خالفَك فهو مُشِيرٌ عليك .

علي : أجل يا خليفة رسول الله . امْضِ لما شَرَح

اللهُ له صدرَك، ولا يَكْرُبَنَّك رأيُ مَنْ خالفك، فإنما خالفك لِينْصح لك.

أبو بكر : إني كنت أرجو أن أستأنس برأيهم، لِيطْمئن قلبي إلى صَواب رأيي في عمر.

عثمان : إن رأيك في عمر لهو الصوابُ.

أبو بكر : صدقتم ونصحتم. فيرحمَ اللهُ رُجلاً دعَا لي طلْحةَ بن عُبيد الله، وسعْداً، والزبير. (يضطجع على فراشه).

ابن عوف : (ينهض) أنا أدعُوهم لك. (يخرج).

أبو بكر : وأنت يا سعيد بن زيد، إنك لم تقُلْ لنا رأيك بعد في عمر؟

سعيد : أعْفِني يا خليفة رسول الله، فإنه ابنُ عَمي وأخو امرأتي وزوْج أختي.

أبو بكر : فأنت به أعلمُ.

سعيد : اللهم إني أعلم ما من أحدٍ فينا إلا كان أسبقَ

إلى الإسلام من عمر.

أبو بكر : هذا شيءٌ نعلمه جميعاً، وما عن ذلك سألتُك.

عثمان : أفكلُّ مَنْ سبق عمرَ إلى الإسلام كان أفضلَ منه يا ابن زيد؟

سعيد : الفضلُ عند الله يعلمُه هو وحده سبحانه.

أبو بكر : لو شِئْتَ يا سعيد بن زيد لقلْتَ غيرَ هذا.

علي : إني لأعلم ما يحملهُ على ذلك. إنه يخشى من ابن عمه إذا أطْراه.

سعيد : إي والله يا أبا بكر، لئن بلَغَ عمر أني كُنْتُ فيمن رشَّحه للخلافة، ليُحاسِبنني حساباً عسيراً.

أبو بكر : (يبتسم) صدقْتَ يا ابن زيد. هذه شهادةٌ تكْفِينا منك.

سعيد : شهادَة؟

أبو بكر : أجل. إنها لمن يُقَال له: هِيَ لَك، لا لِمَنْ يقول: هِيَ لي. لقد لقيتُ من الكَبَد في إقْناع عمر بقبول العهد ما لم ألْقَه من أحد.

سعيد : الويلُ لي من عمر إذا علم !

عثمان : أتخافُه كلّ هذا الخوف وهو ابن عمك ؟

سعيد : ما كنْتُ لأخافَه لو لم يكنْ ابن عمي. اشْهَدُوا يا قوم أني ما رشّحتُه ولا زكّيته .

علي : إني شَهيدٌ لك بذلك يا سعيد.

سعيد : فأنت حَسْبي يا ابن عم رسول الله.. جُزيتَ الخير .

(يعود عبد الرحمن بن عوف ومعه الزبير وسعدُ وطلحة) .

أبو بكر : مرحَباً بالزبير حَواريّ رسولِ الله، ومرحباً بسعدِ بن مالك أول رَامٍ رَمى سهماً في سبيل الله ، ومرحباً بك يا طلحةُ يا واقِيَ رسولِ الله يوم أُحد. هَلُمّ سَامِحُوني فيما بَدَرَ مني في حقّكم ، فقد تَرَوْن ما أنا فيه ، ووالله ما قصدْتُ إلا خيْراً .

الزبير : يا خليفة رسول الله بأبي أنت وأمي ، أَلِهَذا

بعثْتَ إلينا ؟

طلحة : والله يا أبا بكر إني لأحقُّ بالاعتذار إليك فيما أسأْتُ أدَبي معَك .

أبو بكر : سامِحُوني يا قوم .

سعد : قد سامحناك يا خليفة رسول الله ، فسامِحْنا أنت .

أبو بكر : لا تثريبَ عليكم اليوم يغفرُ الله لكم. يا سعد ويا طلحة ويا زبير ، إني لأعلم أن في ابن الخطاب غِلْظةً ، ولكن ذلك لأنه يَرَاني رَقِيقاً . ولو أفْضَى الأمر إليه لترك كثيراً مما هُو عليه .

طلحة : أتُؤْمن أنت أنه سيكونُ رَفِيقاً إذا أفْضى الأمرُ إليه؟

أبو بكر : إي والله يا أبَا محمد ، لقد رمَّقْتُه فرأيْتُه إذا غضِبْتُ على الرجل في الشيء أرَاني الرضا عنه ، وإذا لِنتُ أراني الشدةَ عليه .

طلحة : إذن فتوكّلْ على الله واستخْلِفْه، فوالله ليْس فينا مَنْ هو أقْوى على هذا الأمر منه .

أبو بكر : الحمد لله إذ اطْمأنَّ قلبي بمشُورتكم، جَزاكم الله خيراً . انْصَرِفُوا مشكورين إذا شِئْتم، ولْيبقَ عندي عثمانُ ابن عفان .

(يخرجُ القومُ واحداً بعد واحد وهم يُسلّمون على أبي بكر ويدْعُون له) .

عثمان : (يَرى أبا بكر يتوجّع) إني لأراك تتوجّعُ يا أبا بكر، فهل أدعُو لك أهلك؟

أبو بكر : لا يا عثمان لا تفعل، ولكن هاتِ قِرطَاسك وقلمَك لأُمِلَّ عليك كتابَ العهد .

عثمان : الساعةَ يا أبا بكر ؟

أبو بكر : الساعةَ يا عثمانُ قَبل الفَوات .

(يسمع صوت المؤذن لصلاة العصر)

أبو بكر : انتظرْني قليلاً يا عثمان حتى أُؤدي صلاةَ العصر، (يكبر للصلاة وهو جالس، ثم يَعْتَريه

الضعف فيضْطَجِع حتى يُتم صلاته وهو مضطجع) هلم يا عثمان !

عثمان : (يدْنُو منه ويخرج قرطاسه وقلمَه ودواته) أمْلِ يا خليفة رسول الله .

أبو بكر : (يُملي وعثمان يكتُب) اكتبْ يا عثمان .. بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عَهِدَ أبو بكر بن أبي قُحافة في آخر عَهْدِه بالدنيا خارجاً منها، وعند أول عَهْده بالآخرة داخلاً فيها، حيثُ يُؤْمن الكافِر ويُوقِن الفاجِر ويَصدُق الكاذِب، إني استَخْلَفْتُ عليكم بعدي (تلحق أبا بكر غَشْية) .

عثمان : إني استخْلفْت عليكم بعدي .. أمل يا أبا بكر .. وَيْ ! إنه ذُهِبَ به ! لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله . (ينادي) يا أهلَ البيت ! يا أهلَ البيت ! هَلُموا الحقُوا خليفة رسول الله.

(يخرج مسرعاً قد جمع أوراقه)

(تدخل أسماءُ بنت عميس وأم فروة)

أم فروة : (باكية) وا أُخيَّاه !

أسماء : (تُكِمُّ فمَها بيدِها) وَيْحك لا تبكي . إنما هذه غَشْية لحِقَتْه . ابغيني شيئاً من الماء .

(تَخرج أم فروة وتعودُ بقَدَح من الماء ، فجعلت أسماء ترشّ منه على وجْه أبي بكر)

أبو بكر : (يَفِيق من غشْيته فيجلس بقوة كالمذْعُور) أين عثمان ابن عفان ؟ أين خرج ؟ ادعوا لي عثمان .

عثمان : (صوته من فِنَاء البيت) هأنذا يا خليفة رسول الله .

أبو بكر : ادخل يا عثمان . (تخرج أسماء وأم فروة ويدخل عثمان) ماذا فعل كتابُ العهد ؟

عثمان : لا تُرَعْ يا أبا بكر ، فإني أكملْتُه من عندي .

أبو بكر : كتبْتَ اسم عمر بن الخطاب ؟

عثمان : نَعَم .

أبو بكر : خَشيتَ إن افْتُلِتَتْ نفسي في غَشْيتي تلك أنْ يختلِف الناس ؟

عثمان : نعم .

أبو بكر : فاقرأ عليّ ما كتبْتَ .

عثمان : إني استخلفت عليكم بعدي عمرَ بن الخطاب ، فاسمعُوا له وأطيعوا . وإني لم آلُ اللهَ ورسولَه ودينَه ونفسي وإياكم خيراً ، فإن عَدَل فذلك ظَنّي به وعِلْمي فيه ، وإن بدّل فلِكُلِّ امْرِىءٍ ما اكتسَبَ من الإثم ، والخيرَ أردتُ ، ولا أعلم الغيبَ ، وسيعلم الذين ظلموا أيَّ مُنقَلَبٍ ينقلبون ، والسلام عليكم ورحمة الله .

أبو بكر : أحسنْتَ يا عثمان . خُذِ الخاتم فاخْتِمْه .

عثمان : قد أخذتُ الخاتم فختمتُه يا أبا بكر . (يعيد إليه الخاتم) .

أبو بكر : جزاك اللهُ عن الإسلام وأهله خيراً . اُخرجْ إلى الناس يا عثمان فنادِ الصلاةَ جامعةً ، فإني أُريد أن أكلّمهم من هـذه الكُوَّة ، ثم ائتِني بعمر . (يخرج عثمان)

(تدخُل أسماء)

أسماء : هذه عائشةُ أُمُّ المؤمنين يا أبا بكر .

(تدخل عائشة)

أبو بكر : مرحباً بعائشة ، مرحباً بأم المؤمنين ، مرحباً بحبيبة رسول الله .

عائشة : (تُقبلُ رأس أبيها) كيف أنت يا أبت اليوم ؟

أبو بكر : بحَمْد اللهِ يا عائشة .

عائشة : كلما أرسلْت فَتاتي إليك ، عـادتْ فقالت عندك رجالٌ .

أسماء : أجلْ لم ينقطعْ عنه الرجالُ طُولَ اليوم .

عائشة : ألا تَرفِق يا أبت بنَفْسك ؟

أبو بكر : يا أم المؤمنين كيف يَرفـق بنفسه من تَوَلّى أمرَ هذه الأمة؟ أعينيني يا أسماء حتى أُشرِفَ من هذه الكوّة على أهل المسجد .

(تأخذ أسماء بيديه ، وتسنده عائشةُ وأم فروة من وراء ظَهْرِه ، حتى يُخرجَ رأسَه من الكوّة) .

أبو بكر : أيها النـاس ، يا معشرَ المسلمين ، أصغُوا إليَّ فلعلَّكم لا تسمعُون صوْتي بعد اليوم . إني قـد عَهِدتُ عهداً ومـا أَلَوْتُ من جهـد الرأي ، ولا ولّيت ذا قرابة . أفترضون بمَنْ أستخْلِفُ عليكم ؟

الجميع : رضينا يا خليفةَ رسول الله . مَن تَستْخلِفْ علينـا نَرْضَ به .

أبو بكر : إني قد استخلَفْت عليكم عمر بن الخطاب ، فاسمعوا له وأطيعوا .

الجميع : سمعنا وأطَعْنا يا خليفة رسول الله .

أبو بكر : أيها الناسُ إني دَاعٍ فأمِّنوا : اللهم إنه قد حَضَرَني من أمرِك ما حضَر ، فاخلفْني فيهم فهُم عبادُك ، ونَوَاصيهم بيدك ، وأصلِح لهم أميرَهم ، واجعلْه مِنْ خلفائك الراشِدين.

الجميع : آمين آمين .

(يعود أبو بكر إلى سَرِيره وهو مُتَهلِّل الأسارِير ، حتى يضْطَجع مكانَه) .

أبو بكر : ابعَثُوا إلى أسماءَ وعبد الرحمن ، فإني أُريدُ أن أراهما .

أم فروة : سأفعلُ يا أخي . (تخرج) .

أبو بكر : هل لك يا أسماءُ أن تتركيني قليلاً مع عائشة؟

أسماء : حبّاً وكرامةً . (تخرج) .

عائشة : إني أراك يا أبت طيِّبَ النفس مُتهلل الوجه.

أبو بكر : الحمد لله .. الآن اطْمأَن قلبي ألا تكون فتنةٌ في النـاس . الآن يَطِيب الموتُ يا عائشة !

عائشة : (تدمع عَيناها) يا أَبتِ ألا أستطيع أن أصْنَع لك شيئاً ؟

أبو بكر : بلى يا بُنية ، لقد كنْت أُريد أن أكلّمكِ في هـذا الأمرِ منذ وقت ، فكنتُ أذكره إذا غِبْتِ وأنساه إذا حضرْتِ ، ولعـل ذلك لأني لا أحب مَساءتك .

عائشة : لعلـك يا أبتِ تعني الأرضَ التي نَحَلْتَنيهـا بالعالية ، وأن في نفسك منها شيئاً .

أبوبكر : لله أنت يا بُنية إذْ فَطنْتِ لما في نفس أبيك . إنك تَعلَمين يا عائشة أنك أحبُّ الناس إليَّ وأعزهم ، وقد حضرني اليوم ما تَرَيْن ، فحبذا لو رَدَدْتِ تلك الأرضَ عليَّ فيكون ذلـك قسمةً بين وَلَدِي على كتـاب الله ، فألْقى ربي حين ألقاه ولم أُفضِّل بعض وَلَدِي على بعض .

عائشة : حباً يا أبت وكرامة . والله لقد كان في نفسي

أن أردَّها عليك ، فكان يمنعُني خوفي أن يُغْضِبَـك ذلك مني ، فالحمد لله إذْ أذِنْتَ لي بذلك من تِلْقاء نفسك .

أبو بكر : وأنا يا بنية أحمدُ الله إذ ألهمَك أن تنزلي عنها من تِلْقاء نفسك ، فأَرَحْتِ بذلك صدرَ أبيك .

صوت : يا آل أبي بكر : يا آل أبي بكر !

أم فروة : هذا صوتُ عثمان .

أبو بكر : لعله جـاءَ بعُمر بن الخطاب معه .. اُبْقَيْ عندنا يا عائشة الليلة .

عائشة : سأبيتُ يا أبتِ الليلة عندكم . (تخرج) .

(يدخل عثمان وعُمر) .

أبو بكر : يا ابن الخطاب قرأتَ كتابَ العهد ؟

عمر : نعم .

أبو بكر : أيُّ يومٍ هذا ؟

عمر : يوم الاثنين .

أبو بكر : فأيَّ يوم قُبِضَ رسول الله ﷺ ؟

عمر : يوم الاثنين .

أبو بكر : فإني أرجو ما بيني وبين الليل .

عثمان : إني لأراك طيبَ النفس مُتَهَلِّل الوجـه يا خليفة رسول الله .

أبو بكر : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : من أحبَّ لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه . يا عمر إذا أنا مِتُّ في ليلتي هذه فلا تُمسِيَنَّ حتى تندُب الناس مع المثنَّى بن حارثـة ، فإن فارسَ لن تتركنا إن تركْناها . وإذا فتحَ الله على أمراء الشام فاردُدْ أصحابَ خالد إلى العِراق ، فإنهم أهلُه وولاةُ أمره ، وهم أهل الضَّراوة والجرْأة عليهم .

عمر : قد وعَيْت ذلك يا خليفة رسول الله ، فأَوصِني يرحمُك اللهُ .

أبو بكر : يا عمر لعل هـذا آخرُ كلام تسمعُه مني .

يا عمر إن لله حقاً بالليل لا يَقْبلُه بالنهار ، وحقاً بالنهار لا يقبلُه بالليل. وإنه لا يقبل نافلة حتى تُؤَدَّى الفريضة. ألم ترَ يا عمر أنما ثَقُلتْ موازين من ثقلتْ موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق وثِقْلِه عليهم ، وحُقَّ الميزان لا يُوضع فيه غداً إلا حقٌّ أن يكون ثقيلاً . ألم تر يا عمر أنما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الباطل وخِفَّتِه عليهم ، وحُقَّ الميزان لا يوضع فيه إلا باطل أن يكون خفيفاً . يا عمر إن حَفِظْت وصيتي فلا يكونَنّ غائبٌ أحبَّ إليك من الموت وهو آتيك ، وإن ضيّعت وصيتي فلا يكونَنَّ غائب أبغضَ إليك من الموت ولستَ بمُعْجِزِ الله .

عائشة : (صوتها من الداخل) يا ابنَ الخطاب ويا ابن عفان !

الاثنان : لبّيك يا أم المؤمنين .

عائشة : إني ما رأيتُ أبي اليومَ إلا قليلاً وقد أخذتُم وقتَه كلَّه ، أفلا تتركون لأهله شيئاً من وقْته ؟

عمر : صدقْتِ يا أم المؤمنين .. ها نحن أولاء ننْصرف .

(يخرجان)

(تدخل عائشة وأسماء بنت عُمَيس وأم فروة وعبدالرحمن ابن أبي بكر ، فيلتفّون حولَ أبي بكر)

عبدالرحمن: كيف تجدُك يا أَبَتِ اليوم ؟

أبو بكر : الحمد لله يا بُني . أين أسماء بنت أبي بكر ؟ ألم آمُرْكم أن تبْعثُوا إليها ؟

أم فروة : قد فعلتُ يا أخي فهي قادمةٌ .

بنت عميس : ها هي ذي أسماءُ بنت أبي بكر . (تدخل أسماء متجلّدة) .

أبو بكر : مرحباً بذَاتِ النطاقين . مرحبـــاً بذات

النِّطَاقين .

ذات النطاقين: كيف أنتَ اليوم يا أبتاه ؟ يا ثَانِيَ اثْنين إذْ هُما في الغَار .

أبو بكر : الحمد لله يا بُنية .. اللقاءُ إن شاء الله قريبٌ .. أين الغُلَيِّم ؟ أين محمدُ بن أبي بكر ؟ أحضِرُوه لأراه. (تخرج أم فروة) إني أُوصيكم بأخيكم خيْراً فإنه ابنُ أبيكم ،وأوصيكم كذلك بأُختِكم ذاتِ بَطْن ابنةِ خارِجة .

عبدالرحمن: لعلّه يا أَبت أن يكون غُلاماً .

أبو بكر : قد أُلقي في رُوعي أنها جاريةٌ .

(تدخلُ أم فروة ومعها الصبيّ محمد بن أبي بكر) .

محمد : ما زِلت عليلاً يا أبت ؟ متى تقوم من فِراشك؟

أبو بكر : قريباً إن شاء الله يا محمد. أين خُذروفك فإني لا أراه معك ؟

محمد : تقطَّعت خيوطه فلم يعد يدُور . قلت لأمي

أصْلحيه لي فأَبتْ . هل آتيك به يا أبتِ لِتُصْلحه لي ؟

أبو بكر : (يَثْقُل لسانه ويدخل في السياق) الله الله ! اللهم اغفر لي وتُبْ عليّ .

محمد : هل آتيك به لِتُصْلحه لي ؟

(تجذبه عائشة إلى حجرها وتُومِيء له أن اسكت) .

عائشة : (تُتَمْتِم والدموع في عينيها) :

لعمرك مـــا يُغني الثراء عن الفتى

إذا حَشْرَجَتْ يوماً وضاق بها الصدر

أبو بكر : (يتحرك فجْأةً كأنه سمع ما تمثّلتْ به عائشة فبذل كلَّ ما بقي من جَهْد عنده ليقول) : بل قولُ الله أصدق يا بُنية: وجاءتْ سَكْرةُ الموتِ بالحق ذلك ما كنْتَ منه تَحِيد. ربِّ تَوَفَّني مسلماً وأَلْحِقْني بالصالحين . (يختَلج اختِلاجة فإذا هُو قد مات) .

(يبكي الجميع دون عَويل، إلا أمَّ فروة فقد أعْوَلت بأعلى صوتها تَنْدُبه) .

عمر : (صوته من الباب) يا آل الصِّدّيق ما هذا النَدْبُ والعَويل ؟ إن رسول الله ﷺ نهى عن النِيَاحة .

ذات النطاقين: هذه يا ابن الخطاب عَمتي أمُّ فروة .

عائشة : اسكتي ياعمة .. اخْفِضِي صوتك .

أم فروة : أسْعِدْنَني بالنواح أو فَدَعْنَني أنُوح على أخي وحدي ! واجَبَلاه ! واسيداه ! (تمضي في في العويل) .

عمر . يا أمّ فروة إني أحَرِّج عليك أن تَنوحي على أبي بكر .

أم فروة : ما أنتَ وذاك يا ابنَ الخطاب ؟ إنه أخي.

عمر : يا أم فروة لَئِن لمْ تنتهي لأدْخلَنّ إليك، ولأُوجِعَنّكِ بهذه الدِرّة .

أم فروة : وجسدُ أخي مسجَّى أمامي؟

عمر : وجسدُ أخيك مُسجَّى أمامك. اخرْجن من عندها يرحمكُنَّ اللهُ . (تُحاوِل النسوةُ الثلاث أن يُسكِتْنَها ويخرْجنَ بها ، فامتنعتْ فانسحَبْنَ دونها) .

أم فرة : (بأعلى صوتها) واجَبَلاه ! واسيّداه ! وا أُخيّاه !

(يدخُل عمر فيعْلُوها بالدِّرّة ضرباتٍ حتى تهرب إلى الداخل) .

عمر : والله لئن نُحْتِ مرة أخرى لأضرِبَنّك حيث أنتِ .

عبدالرحمن: (يدخل من حيث خرجت أم فروة) قد سكتَتْ عمَّتي يا عمرُ ولن تعودَ .

عمر : (ينظر إلى الدِّرة فتغرَوْرِقُ عيناه بالدمع) عبد الرحمن .. هل لك أن تكشِفَ لي وجهَ أبيك؟ (يكشف عبدالرحمن الغطاء عن وجه أبي بكر) سلامُ الله عليك يا أبا بكر . عزيزٌ

عليَّ والله أن أضربها وجسدُك مُسَجَّى بعد.
ولكنها الأمانة التي طوّقتَ بها عُنقي لن
أخرقها من أجل قريبٍ لي أو قريبك.

(ستار)

الفصل الأول

على أسوار دمشق

برهان